تحديات مستقبل سوريا: قراءة تحليلية

حسين عبد المطلب الأسرج

عضو هيئة تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

سوريا اليوم تقف على مفترق طرق تاريخي بعد سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤، وبداية مرحلة انتقالية تحمل في طياتها فرصًا عظيمة وتحديات جسيمة. المستقبل السوري مرهون بقدرة القيادة الجديدة، بقيادة هيئة تحرير الشام وأحمد الشرع، على مواجهة هذه التحديات بفعالية، وسط تعقيدات داخلية وإقليمية ودولية.

فيما يلي قراءة تحليلية لأبرز التحديات التي تواجه سوريا في المستقبل القريب:

١. إعادة الإعمار والتحدي الاقتصادي

سوريا خرجت من أكثر من عقد من الصراع ببنية تحتية مدمرة واقتصاد منهار. التضخم المرتفع، انعدام الأمن الغذائي لنحو ١٢ مليون شخص، ونسبة فقر تصل إلى ٩٠٪ من السكان، تشكل أزمة إنسانية واقتصادية غير مسبوقة. التحدي الأكبر يكمن في:

- تمويل إعادة الإعمار: تحتاج سوريا إلى مئات المليارات من الدولارات لإعادة بناء المدن والبنية التحتية، لكن العقوبات الدولية المستمرة قد تعيق تدفق الاستثمارات.
- تنويع الاقتصاد: الاعتماد على المساعدات الخارجية أو الاستثمارات الخليجية وحدها غير كافٍ، ويتطلب الأمر إصلاحات جذرية لمكافحة الفساد وسوء الإدارة.
- التوازن بين الاحتياجات الفورية والاستدامة: تحسين الأوضاع المعيشية بشكل عاجل قد يتعارض مع بناء اقتصاد مستدام طويل الأمد.

٢. الانتقال السياسي والتوافق الوطني

المرحلة الانتقالية تتطلب تشكيل نظام سياسي شامل يضمن وحدة سوريا ويلبي تطلعات شعبها المتنوع. التحديات تشمل:

- التوازن بين الفصائل: هيئة تحرير الشام، التي قادت سقوط الأسد، تواجه مهمة دمج الفصائل المسلحة تحت إطار موحد، مثل وزارة دفاع مشتركة، لكن بعض الجماعات قد ترفض الاندماج.

- التنوع الطائفي والعرقي: إرضاء جميع المكونات (العرب، الأكراد، الدروز، العلويون) يتطلب عملية سياسية شفافة، وأي إقصاء قد يؤدي إلى صراعات جديدة.
- شرعية الحكم: تشكيل حكومة انتقالية من طرف واحد قد لا يحظى بقبول واسع، مما يستدعي حواراً وطنياً شاملاً لضمان الاستقرار.

٣. التدخلات الخارجية والتوازن الإقليمي

سوريا ساحة لنفوذ قوى إقليمية ودولية، مما يجعل سياستها الخارجية تحدياً دقيقاً:

- تركيا: تسعى لضمان أمن حدودها وتقليص نفوذ الأكراد، وقد تدعم فصائل معينة لتحقيق أجندتها.
- روسيا وإيران: خسارتهما للأسد قد تدفعهما لمحاولة استعادة النفوذ عبر دعم ميليشيات أو التأثير على المشهد السياسي.
- إسرائيل: تهدف إلى ضمان أمنها عبر منع انتقال السلاح لحزب الله، وقد تستغل الفراغ لتعزيز هيمنتها في الجولان.
- الدول الخليجية والغرب: تقديم الدعم المالي والسياسي مشروط غالباً بإصلاحات ديمقراطية أو مواقف مناهضة لإيران، مما يضع القيادة الجديدة في موقف حرج.

٤. الأمن ومكافحة الإرهاب

رغم سقوط الأسد، لا تزال سوريا تواجه تهديدات أمنية:

- بقايا داعش: التنظيم لا يزال نشطاً في جيوب متفرقة، وقد يستغل أي فراغ أمني للعودة.
- الاستقرار الداخلي: مناطق مثل حلب ودير الزور تشهد اضطرابات أمنية، مما يتطلب قوة عسكرية موحدة وشرطة فعّالة.
- المعتقلون والمفقودون: معالجة مصير أكثر من ١٠٠ ألف مفقود ومعتقل من عهد الأسد تتطلب آليات عدالة انتقالية، لكن أي إجراءات متسرعة قد تثير توترات.

٥. الأزمة الإنسانية وإعادة اللاجئين

نزح الملايين داخلياً وخارجياً، ويعتمد مستقبل سوريا على:

- عودة اللاجئين: الأردن ولبنان وتركيا يضغطون لعودة أكثر من ٥ ملايين لاجئ، لكن ذلك يتطلب ضمانات أمنية واقتصادية.

- المساعدات الدولية: الاستجابة الإنسانية ممولة بنسبة الثلث فقط، مما يستدعي زيادة التمويل لتلبية الاحتياجات الأساسية.

السيناريوهات المحتملة:

- السيناريو المتفائل: توافق وطني يؤدي إلى حكومة شاملة، مع دعم دولي لإعادة الإعمار، مما يفتح الباب لاستقرار نسبي وتحسن اقتصادي.
- السيناريو المتشائم: فشل الانتقال السياسي، تصاعد الصراعات الداخلية، واستغلال القوى الإقليمية للفراغ، مما يؤدي إلى تقسيم فعلي للبلاد.
- السيناريو الواقعي: مرحلة انتقالية طويلة تتخللها توترات، مع تقدم تدريجي في الاستقرار بدعم خارجي مشروط.

الخلاصة: إن مستقبل سوريا يعتمد على موازنة دقيقة بين الاحتياجات الداخلية والضغوط الخارجية. القيادة الجديدة بحاجة إلى إثبات براغماتية في التعامل مع الفصائل والمكونات المحلية، ودبلوماسية في إدارة العلاقات الإقليمية والدولية. النجاح في تفكيك "الألغام" الموروثة من الصراع – مثل الطائفية، التدخلات الخارجية، والانهيار الاقتصادي – سيكون المفتاح لبناء سوريا جديدة مستقرة ومزدهرة. لكن الطريق لا يزال طويلاً ومليئًا بالمخاطر، مما يتطلب جهوداً مشتركة من السوريين والمجتمع الدولي على حد سواء.